

أضواء البيان

@ 49 دِينًا فَلَا يَنْ يُقْبَلُ مِنْهُ { ، وباللَّه تعالى التوفيق . { إِنَّ }
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ } . قرئت البرية بالهمزة
وبالياء ، فقرأ بالهمز : نافع وابن ذكوان . والباقون بالياء ، فاختلف في أخذها . .
قال القرطبي : قال الفراء : إن أخذت البرية من البراءة بفتح الباء والراء : أي التراب
فأصله غير مهموز بقوله منه : براه [يبروه برواً] ، أي خلقه ، وقيل : البرية من برت
القلم أي قدرته . .

وقد تضمنت هذه الآية مسألتين : الأولى منهما : أن أولئك في نار جهنم خالدين فيها ،
ومبحث خلود الكفار في النار ، تقدم للشيخ رحمة [تعالى علينا وعليه وافيًا] . .
والمسألة الثانية أنهم شر البرية ، والبرية أصلها البريئة ، قلبت الهمزة ياء تسهلاً ،
وأدغمت الياء في الباء ، والبريئة الخليقة واللَّه تعالى بارئ النسم ، هو الخالق
البارئ المصور سبحانه . .

ومن البرية الدواب والطيور ، وهنا النص على عمومها ، فأفهم أن أولئك شر من الحيوانات
والدواب . .

وقد جاء النص صريحاً في هذا المعنى في قوله تعالى : { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ
اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } ، وقد بين أن المراد بهم
الكفار في قوله : { أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى
أَبْصَارَهُمْ } ، وقال عنهم : { فَأَنْتَ تَسْمَعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ
وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } ، فهم لصممهم وعماهم في ضلال مبين . .

وقد ثبت أن الدواب ليست في ضلال مبين ، لأنها تعلم وتؤمن بوحدانية اللَّه ، كما جاء في
هدد سليمان ، أنكر على بلقيس وقومها سجودهم للشمس والقمر من دون اللَّه . .
ونص مالك في الموطأ في فضل يوم الجمعة (أنه وما من دابة إلا تصيح بأذنها من